يهود الاتحاد السوفياتي واشكالية استيعابهم في اسرائيل

عمر سعادة

تستأثر موجة الهجرة اليهودية الراهنة من الاتحاد السوفياتي باهتمام خاص لدى أطراف الصراع العربي ـ الاسرائيلي؛ اذ قلّما ترافقت موجة هجرة يهودية ـ بعد قيام دولة اسرائيل ـ بهذا القدر من الجدل، والحماس، والمخاوف لدى مختلف الجهات المعنية بالصراع.

ويبدي الجانب الاسرائيلي حماساً زائداً لاستقبال هذه الموجة من الهجرة، واستيعابها، ومن ثمّ توظيفها ضمن آليات الصراع القائم في المنطقة. فالنخبة الاسرائيلية الحاكمة، بتفاوت طفيف بين عناصرها، تنظر الى هذه الهجرة، وتتعامل معها، باعتبارها اضافة كميّة، ونوعيّة، هامة الى عناصر القوة الاسرائيلية، على الصعد، البشرية والاقتصادية والأمنية. ويبلغ حماس بعض القوى اليمينية الاسرائيلية، بفعل هذه الهجرة، حد المطالبة باعادة النظر في مجمل المسار السياسي الاسرائيلي، في ضوء هذا المتغير الجديد، انطلاقاً من ان الموازين الديمغرافية، والأمنية، والسياسية، التي ارتكزت عليها معادلة التسوية، حتى فترة قريبة، قد تغيّرت، أو هي على طريق التغيّر لصالح اسرائيل.

ولعل مقولة رئيس الوزراء الاسرائيلي، اسحق شامير، حول ان «الهجرة الكبيرة تتطلب اسرائيل كبرى» تعكس، الى حد بعيد، فهم قطاع واسع من الاسرائيليين لمحتوى، وأبعاد، موجة الهجرة اليهودية المتوقعة من الاتحاد السوفياتي. فالتقديرات الاسرائيلية المتفائلة تذهب الى احتمال خروج مليون يهودي من الاتحاد السوفياتي خلال السنوات القليلة المقبلة، والى احتمال ان يتوجه نصف اولئك اليهود الى اسرائيل[1].

غير ان المشكلة التي تثير جدلاً واسعاً، هذه الأيام، في الشارع الاسرائيلي، وبين أوساط النخبة الحاكمة الاسرائيلية، تتعلق بقدرة اسرائيل على استيعاب هذه الموجة الجديدة. فالقيمة الفعلية لموجة الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي لا تكمن في عدد اليهود الذين يمكن ان يغادروا الاتحاد السوفياتي، بل في عدد اليهود الذين سيستقرون منهم في اسرائيل، وينصهرون ضمن العضوية الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، الاسرائيلية.

ومن هذا المنظور، ثمة مشكلة مزدوجة، تتعلق، في جانب منها، بمواصفات اليهود السوفيات ودوافع هجرتهم الى خارج الاتحاد السوفياتي؛ كما تتعلق، في الجانب الآخر، بقدرات اسرائيل الاقتصادية، والاجتماعية، وبطبيعة احتياجاتها الراهنة على صعيد الطاقة البشرية.